إدارة مصعب بن الزبير للعراق

٦٧ – ٧٣هـ ٦٨٦ – ٦٩١م

د. صلاح الدين أمين طه(*)

كان لوفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م تأثير كبير في مستقبل الدولة الأموية من الناحية السياسيّة والإداريّة، وزاد وضع الدولة سوءاً موقف ولي العهد معاوية الثاني من الخلافة ووفاته بعد أيام معدودة(١) ممّا انعكس أثره على أقاليم الدولة العربية الإسلامية خاصة في العراق والحجاز، وتركت وفاته فراغا كبيرا من الوجوه كافة، ممّا جعل الباب مفتوحا أمام الطامعين بالخلافة، ولا سيما عبدالله بن الزبير الذي كان عائذا بالبيت الحرام آنذاك، ولم يبايع يزيد على الخلافة، أن ينتهز هذه الفرصة الثمينة لإعلان بيعته خليفة للمسلمين، مع العلم انه لم يكن يدعو لنفسه سابقا، ولم يدع له أحد بالخلافة طوال خلافة يزيد(٢). وفي العراق كان موقف عبيدالله بن زياد صعبا ومشوشا خاصة بالنسبة لأهل الكوفة الذين دعوا الحسين بن علي (رضي الله عنه) لمبايعته للخلافة وتخلوا عنه، فكان سببا في

(*) كلية الآداب / جامعة الموصل.

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢ / ١٣، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٧ / ٤٣٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٤ / ٣٩٣، السعودي: التنبيه والاشراف: ٢٦٥، ابن الأثير: الكامل : ٤ / ١٣٠: الذهبي : دول الإسلام: ١ / ٤٧.

(٢) خليفة: التاريخ: ١ / ٢٥٢ ينظر أيضا البلاذري: انساب الأشراف: ٤ / ٥٨، ٥ / ١٨٨، الطبري : التاريخ : ٧ / ٤٢٧ – ٤٢٨.

استشهاده وغدا تأثير ذلك كبيرا على أهل الكوفة الذين كانوا يتحينون الفرصة، للانتقام ممّا جعل موقفهم معارضا للحكم الأموي.

بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية، ووصول خبر موقف ابنه معاوية الثاني من الخلافة وموته، طلب عبيد الله بن زياد من أهل البصرة اختيار أحد رجالهم ومبايعته لإدارتها لحين اتفاق الأمة على خليفة جديد، فاتفق أهل البصرة على استمرار زياد في عمله أميراً عليها لحين انجلاء الموقف[٣] كما وأرسل عبدالله بن عمرو بن مسمع، وسعد بن القرحا إلى الكوفة، للحصول على موافقتها على استمراره بعمله، والبيعة له أسوة بما فعله أهل البصرة، إلا انهم رفضوا تأمير ابن مرجانة عليهم[٤]، ممّا جعل أهل البصرة يغيّرون موقفهم منه، وحذوا حذو أهل الكوفة فاضطر إلى الاختفاء عند مسعود بن عمرو بن عدي[٥] مدّة، ثم لحق بأهل الشام هارباً سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م[٦] ممّا أدى ذلك إلى تطور الأحداث السياسية في البصرة والكوفة معا، وانحياز أهل العراق إلى ابن الزبير وبايعوه على الخلافة، فقد كاتب أهل البصرة عبدالله بن الزبير يسألونه إرسال من يتولى إدارة مدينتهم. وكانت هذه المكاتبة فرصة ثمينة له لكسب ولاء العراقيين وتأييدهم خاصة ان العراق يعدّ إقليماً مهماً له من الناحية الستراتيجية والبشرية والاقتصادية، لدعم حركته وإنجاحها، لذا سارع إلى الكتابة إلى انس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس،

(٣) ن. م: ١ / ٢٥٣، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٧ / ٤٣٢ – ٤٣٣، ابن الأثير: الكامل ٤ / ١٣٢، الحنبلي: شذرات: ١ / ٧٢.

(٤) الطبري: تاريخ: ٧١ / ٤٦٠، ينظر أيضا: ابن الأثير: الكامل: ٤ / ١٣٢.

(٥) ن. م: ٧ / ٤٤١، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ١٣٥.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ١٣١، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٧ / ٤٤٦، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ١٣٣، الذهبي: دول الإسلام: ١ / ٤٨.

فصلى بهم أربعين يوماً[٧] ثم كتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي يأمره بالصلاة بالناس، فصلى بهم شهراً، ثم وصل الحارث بن عبدالله بن ربيعة المخزومي أميراً عليها، وهو الذي لقبه أهل البصرة بالقباع[٨]، كما عيّن عبدُالله بن الزبير عبدالله بن مطيع أميرا على الكوفة سنة ٦٤هـ ٦٨٣م بعد أن عزل عنها عبدالله بن يزيد الأنصاريّ فقدم ابن مطيع إلى الكوفة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م[٩]؛ ينظر للظروف السياسية الصعبة التي كانت تمرّ بها الأمة، والانقسام الحاصل بينها نتيجة وجود خليفتين أحدهما عائذ بالبيت وقد بايعته أقاليم الدولة العربية الإسلامية كافة إلا الأردن[١٠] والآخر نزل الجابية يحاول إعادة سيطرته على ما فقده من أملاك وولايات وكل منهما يصارع الآخر في سبيل تحقيق هدفه وتصفية خصمه. ولاشكّ في أن ذيول هذا الصراع على الخلافة انعكس أثره على العراق الذي اصبح هدفا لهجمات الخوارج، ولا سيما البصرة من جهة، وتفشي حركات معارضة في الكوفة التي لم يكن هواها مع ابن الزبير من جهة أخرى، ، فقد نشطت حركة التوابين التي يقودها سليمان ابن صرد الخزاعي، والتي ظهرت سنة

(٧) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢ / ١٩، ينظر أيضا: البلاذري: انساب: ٥ / ١٨٨، الدينوري: الأخبار الطوال: ٢٧١، المبرد: الكامل: ٣ / ٣٠٦، الطبري: تاريخ: ٧ / ٤٦٥.

(٨) ابن سعد: الطبقات: ٥ / ١٠٦، ينظر أيضا ابن الكلبي: جمهرة النسب: ١ / ٢٨٨، البلاذري: انساب: ٢٥٦/٥، وكيع: أخبار القضاة: ٢٩٨/٢-٢٩٩، المبرد: الكامل: ٣٠٧/٣، الطبري: تاريخ: ٤٦٤/٧، ٦٠١.

(٩) ابن قتيبة: المعارف: ٣٥٩، ينظر أيضا البلاذري: انساب: ٥٢٧٤، الدينوري: الأخبار الطوال: ٢٢٨، الطبري: تاريخ ٥٩٢/٧، ابن اعثم: الفتوح ٨٧/٢، ابن دريد: الاشتقاق: ١٥١.

(١٠) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ١٥/٢، ينظر أيضا: البلاذري: انساب: ٥٩/٤، ١٢٨/٥، ١٨٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٣٩٣/٤، المسعودي، التنبيه: ٢٦٦.

٦١هـ/٦٨٠م، وتدعو إلى الانتقام من قتلة الحسين (رضي الله عنه)[١١]، ورأت هذه الحركة أن الوقت اصبح مناسبا لها لتحقيق أهدافها، وقرر سلمان بن صرد السيطرة على الكوفة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[١٢]، إلا أنّ عبدالله بن يزيد الأنصاريّ وقف ضده، وتمكن من إفشال مخططه معللاً أن قتلة الحسين بن علي (رضي الله عنه) في الشام، وليسوا في الكوفة، وهم متوجهون نحو العراق[١٣]. وكانت آراء ابن صرد السياسية لا تنسجم مع فكر ابن الزبير وهدفه، يقول ابن صرد عن أنصار لبن الزبير " أنا وهؤلاء مختلفون، ان هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى ان الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا وانا نحن ان ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهله – يعني آل البيت – وان أصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا، إن لنا شكلاً، ولابن الزبير شكلاً"[١٤].

كما استغل المختار بن أبي عبيد الثقفي الأوضاع السياسية في الكوفة وضعف أميرها عبدالله بن مطيع وازدياد اتباعه، فوثب على الكوفة سنة ٦٦هـ/٦٨٥م واخرج ابن مطيع منها[١٥]. ولم يكتفِ المختار بالكوفة، بل رغب في السيطرة على البصرة، فأرسل في السنة نفسها المثنى بن مخربة العبديّ إليها،

---

(١١) البلاذري: انساب الأشراف: ٢٠٦/٥. ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٤٩٣/٧-٤٩٨، الحنبلي: شذرات: ٧٣/١.

(١٢) ن. م: ٥ / ٢٠٨، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٧ / ٥١١.

(١٣) ن. م: ٥ / ٢٠٧ – ٢٠٨، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٧ / ٥١١.

(١٤) الطبري : تاريخ: ٧ / ٥٥٠.

(١٥) خليفة: التاريخ: ١ / ٢٥٨، ينظر أيضا ابن قتيبة: المعارف: ٣٥٦، البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٢٨، الدينوري: الأخبار الطوال: ٢٩٢، الطبري: تأريخ: ٨ / ٦١٨ / ٦٣٤، ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ١١٢، ابن

ليدعو له وليأخذ بيعة أهلها[١٦]. إلا أنه لم ينجح، ولم يقف عدم نجاحه أمام طموحه السياسيّ عند العراق فحسب بل كان يأمل السيطرة على الحجاز، فقد استغل فرصة إرسال مروان بن الحكم جيشا لقتال ابن الزبير في وادي القرى فأرسل المختار – بعد الكتابة إلى ابن الزبير – فرقة عسكرية تتكون من ثلاثة آلاف مقاتل ليس منهم غير سبعمائة من العرب بقيادة شرحبيل بن ورس الهمداني، لمساعدته إلا أنه ابلغ سراً قائده أن يتوجه إلى المدينة، ولا يقف إلا عندها، وكان هدف المختار أنْ يسيطر على المدينة أولا، ثمّ يتوجه إلى مكة ثانياً، وربما لطرد ابن الزبير منها والقضاء عليه[١٧]. ولكن يبدو أنّ ابن الزبير كان حذراً من موقف المختار هذا، ولم ينطل عليه مكره فتصدى لجيش المختار قبل أنْ يصل إلى هدفه، فأرسل عباس بن سهل بن سعد الساعدي بجيش تمكن من تمزيق جيش المختار وقتل قائده[١٨]. ويبدو ان المشكلات السياسية والإدارية التي واجهها ابن الزبير في العراق هي التي اضطرته إلى البحث عن رجل قويّ متمكن إداريا يستطيع تصفية هذه الجيوب المقلقة لإدارته والقضاء على الحركات المعادية والخارجين على سلطته، كما يعيد التوازن إليه واستمرار ولائه لابن الزبير خاصة أنّ العراق يعد إقليما مهماً لابن الزبير، لإسناد حركته وإنجاحها كما مرّ بنا. واستناداً إلى هذه

الأثير: الكامل: ٤ / ٢١١، ٢٤٠. أما ابن سعد فيذكر ان ابن الزبير اقرّ المختار على الكوفة وهي رواية انفرد بها وهو غير صحيح ينظر: الطبقات: ٥ / ١١٠.

(١٦) البلاذري: انساب: ٥ / ٢٤٣ – ٢٤٥، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٦٨٠، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٤٤ – ٢٤٥.

(١٧) البلاذري: انساب: ٥ / ٢٤١ – ٢٤٢، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٦٨٩، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٤٧ – ٢٤٨.

(١٨) ن.م: ٥ / ٢٤٢، ينظر أيضا: الطبري: تاريخ: ٨ / ٦٨٩، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٣٤٨.

الأرضية فقد اختار عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا لإدارة البصرة في أول سنة ٦٧هـ/٦٨٦م[١٩] وأمره بالسيطرة على الكوفة وتخليصها من هيمنة المختار، وقال له: " إذا فتحت الكوفة فأنت أميرها، وأمير ثغورها "[٢٠] وكان مصعب رجلاً معروفاً بشجاعته وكفاءته الإدارية والعسكرية فهو رجل آل الزبير فضلاً عمَّا عرف عنه من جود وكرم[٢١] واحسن الناس سيرة في الحق والعدل[٢٢]، ويبدو انه استعمل الحزم في إدارة البصرة، ويظهر ذلك من خلال إحدى خطبة في أهل البصرة حين قال " يا أهل البصرة اتقوا ربكم، ولا تظلموا أمراءكم فقد بلغني أنكم تلقبونهم بالألقاب القبيحة، وذاك أنكم لقبتم الحارث بن عبد الله فسميتموه القباع، ولقبتم ابن أخي حمزة بن عبد الله فسميتموه قعيقعان، واني قد لقبت نفسي الجزار والسلام"[٢٣] ثم نزل من المنبر، وصلى بالناس، وانصرف إلى منزلة فاتقاه الناس، وخافوا منه خوفاً شديداً[٢٤]. بعد أن ثبّتَ مصعب إدارته على البصرة وأرسل عماله إلى مدنها ونواحيها؛ لضبطها، أو عز إلى عمال الخراج لجباية خراجها من أجل الاستعداد للمرحلة القادمة المتمثلة بتنفيذ وصية أخيه بالسيطرة على الكوفة

(١٩) ن. م: ٥ / ٢٣١، ٢٥٢، ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ينظر أيضاً الدينوري: الأخبار الطوال: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، اليعقوبي: تاريخ: ٢ / ٢٦٣، الطبري: التاريخ: ٨ / ٧١٧، المسعودي: مروج: ٣ / ١٠٨، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٦٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣ / ٧١، ويذكر أنه عيّن على البصرة سنة ٦٦هـ مع اختلاف بالتفصيل.

(٢٠) البلاذري: انساب الأشراف: ٥ / ٢٧٤.

(٢١) المعارف: بن قتيبة: ٢٢٤، ينظر أيضا البلاذري: أنساب: ٥ / ١٩٥، الطبري: تاريخ: ٧ / ٦٠٢.

(٢٢) المبرد: الكامل: ١ / ٢٨٣.

(٢٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢ / ١٩، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٧١٧، ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ٣٩ ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٦٧.

(٢٤) ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ٣٩.

وتحريرها من قبضة المختار بن أبي عبيد الثقفيّ، ويبدو أنّ المختار عند سيطرته على الكوفة أصدر قرارات أساء فيها إلى أشراف الكوفة من خلال مساواتهم مع الموالي في العطاء. كما ومنح الأعاجم حرية أوسع في الكوفة، فكسب بذلك غضب الأشراف[٢٥] فضلا عن تجمع المعارضين لسلطته من أهل الكوفة، فقاموا بحركة معارضة واسعة ضدّه تحولت إلى قتال سمّيت باسم يوم جبانة السبيع[٢٦] ويبدو أنّ المختار قد بطش بمعارضيه ممّا اضطر بعض الأشراف ومن نجا من أهل الكوفة بالتوجه إلى البصرة، وحلّوا ضيوفاً عند مصعب بن الزبير الذي أحسن استقبالهم[٢٧] فقدم شبث بن ربعي التميمي " على بغلة قد قطع ذنبها وطرفي أذنيها وشق قباءه ووقف ينادي يا غوثاه يا غوثاه، فدخل على مصعب فاخبره بما لقى الناس من المختار "[٢٨] وأخبره أيضاً وجوه أهل الكوفة ما نالهم، وسألوه نصرتهم والمسير معهم. كما جاءه محمد بن الأشعث الذي لم يشهد حركة أهل الكوفة فاستحثّ مصعباً على الخروج إلى المختار[٢٩]. ويبدو أنّ مصعباً قد مال إلى تلبية طلبات الأشراف بعد أنْ هيأ مستلزمات القتال خاصة بعد وصول القائد الكفوء المهلب ابن أبي صفرة من فارس، وكان معه فرسان أهل البصرة وأشرافهم، وخرج سنة

(٢٥) الدينوري: الأخبار الطوال: ٢٩١، ٣٠٠.

(٢٦) ينظر تفاصيل هذه الوقعة في أنساب الأشراف: ٥ / ٢٣١ – ٢٣٦، ٢٥١، ينظر أيضاً: الطبري: تاريخ: ٨ / ٦٥١ – ٦٥٢.

(٢٧) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٣٧، ٢٥١، ينظر أيضا، الدينوري: الأخبار الطوال: ٣٠٠ – ٣٠١، الطبري: تاريخ: ٨ / ٧١٨.

(٢٨) ن. م: ٥ / ٢٥١، ينظر أيضا: الطبري: تاريخ: ٨ / ٦٦٧، ٧١٨، ابن الأثير: الكامل ٤ / ٢٦٧.

(٢٩) ابن قتيبة: المعارف: ٤٠١، ينظر أيضا: البلاذري: انساب: ٥ / ٢٥١، الدينوري: الأخبار الطوال ٣٠٤، الطبري: تاريخ: ٨ / ٧١٨ ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٦٨.

٦٧هـ / ٦٨٦ لقتال المختار[٣٠] بتعبئة عسكرية متميزة إذ جعل المهلب إبن أبي صفره على ميسرته، وعمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته، وجعل عباد إبن الحصين التميمي على مقدمته. وكان مالك بن مسمع على جيش بكر بن وائل ومالك بن المنذر بن الجارود على جيش عبد القيس، والأحنف بن قيس على جيش العالية[٣١]، وقد توجه إلى الكوفة، ولما بلغ المختار تقدم مصعب نحوه أنتدب مع أحمر بن شميط الاحمسي الناس وتقدم نحو المذار[٣٢] فاصطدم مع قوات مصعب، ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين خرج منها مصعب منتصراً إذ تمكن من قتل معظم قوات المختار، وكان من بينهم قائده أحمر بن شميط[٣٣] وهرب بقيتهم إلى الكوفة فأوعز مصعب إلى من كان معه من أهل الكوفة بمتابعتهم فكانوا اشدّ على أهل الكوفة من أهل البصرة[٣٤]. ويعدّ هذا أول انتصار لمصعب على المختار؛ ممّا عزز من مكانته وازداد ثقة بجيشه وإمكانياته. ثم اتجه مصعب بعد هذا الانتصار إلى الكوفة لتحريرها، وبعد دخولها حدثت مناوشات مع قوات المختار اضطر المختار بعدها إلى الانسحاب إلى القصر. ويبدو أنه لم يكن لديه القدرة على مواجهة قوات مصعب، فحاصره في قصره مدة (٤٠) يوماً[٣٥]. وكان المختار يخرج من القصر ويُغير، ثمّ يعود حتى خرج ليلاً مع تسعة عشر رجلاً من

(٣٠) المسعودي: مروج الذهب: ٣ / ٩٨.

(٣١) البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٥٣، ينظر أيضاً: الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٢٠، الحنبلي: شذرات: ١ / ٧٤ ـ ٧٥.

(٣٢) المذار: منطقة في ميسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار (٤) أيام، وفيها قبر عبيد الله بن علي بن أبي طالب (رض): ياقوت: معجم البلدان: ٥ / ٨٨.

(٣٣) ابن قتيبة: المعارف: ٣٥٦، ينظر أيضاً البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٥٣، ٢٥٤، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٠٤، ٣٠٥، الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٢٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣ / ٧١.

(٣٤) البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٥٤، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٢٣.

(٣٥) الدينوري: الأخبار الطوال: ٣٠٧.

أنصاره، فعرفه الناس فقتلوه في ١٤ رمضان سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م[٣٦]، كما قتل مصعب من كان محاصراً معه في القصر، بعد أنْ نزلوا على حكمه، وبعد أنْ كتب لهم كتاباً بأغلظ العهود وأشد المواثيق يؤمنهم فيه على أنفسهم، فخرجوا على ذلك فقدمهم عباد بن الحصين رجلاً رجلاً فضرب أعناقهم، وكان عددهم سبعة آلاف رجل[٣٧]. وكان مصعب واقفاً يحثّ أهل الكوفة لعزل المختار وأبعده عنهم قائلا "أيّها الناس المختار كذاب، وإنما يغركم منه بأنه يطلب بدم آل محمد وهذا ولي الثأر يعني عبيد الله بن علي (رضي الله عنه)"[٣٨]. وكان عبيد الله (رضي الله عنه) يقاتل المختار مع مصعب بن الزبير حتى قتل[٣٩].

وبعد أن انتهى مصعب من قتل المختار وحرّر الكوفة من قبضته صفا له العراق وأصبح أميراً عليه، وأرسل عماله إلى الجبال وأرض السواد، لإعادة سيطرته عليها، وتنظيم إدارتها[٤٠]. ويذكر اليعقوبي أنّ معركة مصعب بن الزبير مع المختار استغرقت أربعة أشهر[٤١].

---

(٣٦) الدينوري: الأخبار الطوال: ٣٠٨، ينظر أيضا: اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٦٣، البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٦٤، الطبري: تاريخ: ٧٥٠: ٨، المسعودي: مروج: ٣ / ٩٩، التنبيه: ٢٧٠ مع اختلاف.

(٣٧) ابن سعد: الطبقات: ٥ / ١٣٦، ينظر أيضا خليفة: التاريخ: ١ / ٢٦٠، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢ / ٢٥، البلاذري: انساب: ٥ / ٢٥٥: ٢٦٢ – ٢٦٣، الدينوري: الأخبار الطوال: ٣٠٨، اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٦٣ – ٢٦٤، وكيع: أخبار القضاة: ٢ / ٣١، الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٣٨، المسعودي: مروج: ٣ / ٩٩، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٧٣، ٢٧٨.

(٣٨) ن. م: ٥ / ٨٧ – ٨٨، ينظر أيضا اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٦٣، الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٣٣.

(٣٩) البلاذري: انساب: ٥ / ٢٦٠، ينظر أيضا الدينوري: الأخبار الطوال: ٣٠٦، اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٦٣، الطبري: تاريخ: ٨ / ٨٣٣، الحنبلي: شذرات: ١ / ٧٥.

(٤٠) الدينوري: الأخبار الطوال: ٣١٠، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٤٢، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٧٥.

(٤١) التاريخ ٢ / ٢٦٣، ينظر أيضا: ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٧٧.

الوظائف الإداريّة في عهد مصعب:

لاشك في أن مصعب بن الزبير ورّث تنظيماً إداريا دقيقاً في العراق يمثل الجهود التي بذلها زياد بن أبي سفيان وابنه عبيد الله في ضبط إدارة العراق، إلا أنّ المعلومات التي تقدمها المصادر التأريخية لا تشير إشارة واضحة إلى مدى استمرار إدارة العراق بالشكل المعروف في العهد الأموي، وكل ما وصل إلينا من معلومات عن إدارة مصعب بن الزبير للعراق مشوشة، ووردت وروداً عرضياً في أثناء الحديث عن الأوضاع السياسيّة، أو الأحداثِ العسكريّة، وهي لا تقدم صورة واضحة عن الإدارة فهي لا تقدم معلومات عن الكتابة، أو الجباية، أو حرس الأمير أو الدواوين، أو تنظيم الجيش، أو الشرطة ... الخ. ولا شك في ان سبب ذلك يعود إلى عدم استقرار الوضع السياسيّ والعسكريّ في أثناء مدة حكم مصعب للعراق كما رأينا. ومن أهم الوظائف التي أشار إليها المؤرخون العرب ما يأتي:

أ- الولاية:

لاشك في أنّ الوالي هو الموظف الذي يدير الولاية أو الإقليم، ويعينه الخليفة مباشرة، وللوالي صلاحيات إداريّة واسعة؛ لتحقيق الأمن والاستقرار، والعمل على تحقيق العدالة، والعمل وفق الشريعة الإسلامية، مع الحفاظ على جهاد المشركين، والذود عن الإسلام. وتقسم إدارة العراق إلى قسمين: قسم يمثل إدارة البصرة، والقسم الآخر يمثل إدارة الكوفة. وكانت إدارة البصرة والكوفة قد جمعت إلى زياد أبي سفيان وعبيد الله بن زياد ومصعب

بن الزبير فقط وسوف نقدّم المعلومات المتوافرة عن إدارة البصرة والكوفة في عهد مصعب بن الزبير.

١-إدارة البصرة:

سبق لعبد الله بن الزبير أنْ أسند إدارة البصرة إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وهو الذي سماه أهلها "القباع" وذلك في سنة ٦٥هـ – ٦٨٤م[٤٢]. ويبدو أن القباع هذا بقي في منصبه حتى تعيين مصعب بن الزبير أميراً على العراق سنة ٦٧هـ – ٦٨٦م[٤٣] فعزله وعيّن على البصرة عمر بن عبد الله بن معمر التيمي وأمره أن يستخلف عليها عند غيابه أو انشغاله أخاه عبيد الله بن عبد الله بن معمر[٤٤]. وقد شارك عمر بن عبد الله في الحرب مع المختار، وكان على ميمنة قوات مصعب، ثمّ ولاه بعد ذلك قتال الأزارقة في بلاد فارس[٤٥]، وعندما توجه مصعب لقتال عبد الملك بن مروان استخلف على البصرة سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، وكانت لأبيه صحبة فلم يزل عليها حتى قدم مصعب من الكوفة وخلف معه على شرطته عباد بن الحصين[٤٦]. ويبدو أنّ عباداً

(٤٢) ابن سعد: الطبقات: ٥ / ١٠٩، ينظر أيضا البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٠٤ – ٢٠٥، وكيع: أخبار القضاة: ١ / ٢٩٨، الطبري: تاريخ: ٧ / ٤٦٥، ٦٠١.

(٤٣) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٥٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٧١٧.

(٤٤) ن. م: ٥ / ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٨١، ينظر أيضاً: الطبري: تأريخ: ٨ / ٥٧١.

(٤٥) ن. م: ٥ / ٣٤٥، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٨٠٦.

(٤٦) ن. م: ٥ / ٢٨٥ – ٢٨٦.

بقي في منصبه بعد قتل مصعب إذ أمره عبد الملك بقتال أبي فديك بعد تقدمه للهجوم على البصرة[٤٧].

٢-إدارة الكوفة:

عين عبد الله بن الزبير في سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م قبل أمارة مصعب بن الزبير على البصرة عبد الله بن مطيع والياً على الكوفة[٤٨]. وقد بذل عبد الله جهداً متميزاً في إدارة الكوفة والسيطرة على ميول أهلها، إلا أنّ انتقال المختار ابن أبي عبيد الثقفي إليها أفسد عليه حتى أهلها، وتمكن من السيطرة عليها، وإخراج واليها عبد الله بن مطيع عنها سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م[٤٩]. وبقيت الكوفة تحت إدارة المختار حتى تمكن مصعب بن الزبير من قتله في رمضان سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م[٥٠]. وبعد تحرير الكوفة عيّن عليها مصعب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وهو القباع[٥١] الذي استمر على إدارتها حتى مقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ / ٦٩١م[٥٢].

---

(٤٧) ن. م: ٥ / ٣٤٦.

(٤٨) ابن سعد: الطبقات: ٥ / ١٠٩، ينظر أيضا، البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٢٠، الطبري: التاريخ: ٧ / ٥٧٩، ابن اعثم: الفتوح: ٢ / ٨٧.

(٤٩) ابن قتيبة: المعارف: ٣٥٦، ينظر أيضا البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٢٨، ٢٥٦، الطبري التاريخ: ٨ / ٦٨٧.

(٥٠) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٧٤، ٢٨١، ينظر: الطبري: ٨ / ٦٣٣، ٧٥٣.

(٥١) ن. م: ٥ / ٢٨١، ينظر أيضا: الطبري: تاريخ ٨ / ٧٥٣.

(٥٢) ن. م: ٣٤٥.

٣-إدارة الجزيرة وأرمينية وأذربيجان:

بعد عودة الكوفة إلى حكم عبد الله بن الزبير عين مصعب قائده المشهور المهلب بن أبي صفره أميراً على الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان في سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م[٥٣]، فأقام المهلب بالكوفة، وأرسل نواباً عنه لإدارة هذه الأقاليم[٥٤]. ويبدو أنّ سبب اختيار مصعب لإدارة هذه الأقاليم، ليكون بينه وبين عبد الملك وجيوشه، لثقة مصعب بحزمه وإمكانياته[٥٥]. والراجح ان ولاية المهلب على هذه الأقاليم لم تدم طويلاً إذ أمر عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً أن يوجه المهلب إلى البصرة؛ لمساعدة ابنه الحمزة الذي تولى إدارتها[٥٦]. وكان المهلب قد أرسل في أثناء عمله على هذه الأقاليم يقاتلهم به، فعزل المهلب قبل أن يوفي بوعده[٥٧]. وعين مصعب مكانه إبراهيم بن الاشتر[٥٨].

٤- إدارة إقليم فارس:

ذكر البلاذري أنّ عبد الله بن الزبير كتب إلى أخيه مصعب بتولية المهلب بن أبي صفرة إقليم فارس، إلا أنه لم يحدد تاريخ هذه الولاية. والراجح أنها كانت

(٥٣) البلاذري، أنساب: ٥ / ٢٧٤، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٤٣، ٧٥٠، ابن الأثير: الكامل ٤ / ٢٨١، ٢٨٢.

(٥٤) ن. م: ٥ / ٢٧٤.

(٥٥) ن. م: ٥ / ٢٧٤، ينظر أيضا: المبرد: الكامل: ٣ / ٣٣٤.

(٥٦) ن. م: ٥ / ٢٧٤، ٢٧٦.

(٥٧) ن. م: ٥ / ٣٢٨.

(٥٨) ن. م: ٥ / ٢٣١، ٢٧٦.

في سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م بعد تعيين مصعب على البصرة[٥٩]، ثم استدعاه مصعب منها عندما تهيأ لقتال المختار بن عبيد الثقفي فالتحق به[٦٠]. وقد كلفه مصعب بقيادة ميسرة قواته المهاجمة[٦١].

أدى المهلب بن أبي صفرة دوراً كبيراً في تحقيق انتصار مصعب على المختار كما انه اشتهر بقتال الخوارج في البصرة وفارس. وقد عيّن مصعب على إدارة فارس عمر بن عبد الله بن معمر التيمي، وأمره بقتال الخوارج، وقد أبلى القائد بلاءً حسناً في قتالهم، وبقي أميراً عليها حتى مقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ[٦٢].

لم يستمر المهلب على إدارة فارس كثيراً إذ بعد تحرير الكوفة من سيطرة المختار عيّن مصعب بن الزبير عليها عمر بن عبد الله بن معمر التيمي[٦٣] وأمره بقتال الأزراقه؛ نظراً لازدياد هجماتهم على البصرة ونواحيها، جعل معه جيشاً منحه امتيازات مادية ومالية كبيرة؛ دعماً له ولتشجيع الآخرين على الانخراط به، فقد خصّص لهم أرزاقا في كل شهر وأوفاهم أعطياتهم في كلّ سنة، وأمر لهم من المعونات في كلّ سنة بمثل الأعطيات[٦٤]. وتمكن عمر بن عبد الله من متابعة

(٥٩) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٥٢.

(٦٠) الطبري: تاريخ: ٨ / ٧١٩، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٢.

(٦١) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٥٣، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٢٠.

(٦٢) البلاذري: أنساب: ٥ / ٣٣٤، ينظر أيضا المبرد: الكامل: ٣ / ٣٥٣، الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٧.

(٦٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٥ / ٢٥٧، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٥٣ ـ ٧٥٤، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨١.

(٦٤) الطبري: التاريخ: / ٢٨١، ٨ / ٧٥٥.

الأزراقه وقتالهم وظفر بهم[٦٥]. وكان عمر بن عبيد الله على إقليم فارس حين توجه مصعب لقتال عبد الملك بن مروان[٦٦].

٥- إدارة المدائن[٦٧]:

يذكر الطبريّ أنّ كردم بن مرثد بن نجبة الفزاري كان على المدائن في أثناء إمارة مصعب بن الزبير على العراق[٦٨]. ويبدو أن المدائن كانت معرضة إلى هجمات الخوارج، وقد تعرض لها الخوارج في أثناء ولاية كردم عليها فقتلوا الولدان والنساء والرجال، فهرب كردم من المدائن[٦٩]. كما ورد في أحداث سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م. اسم والي المدائن يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني عندما هاجمها عبيد الله بن الحر[٧٠]. والراجح أنّ مصعب بن الزبير هو الذي عيّن يزيد والياً عليها بعد هرب كردم منها، وأمره بقتال ابن الحر، فتمكن من إيقاف زحفه[٧١] كما أورد البلاذري اسم عبد الله بن أبي عصيفير الثقفي أميرا على المدائن[٧٢] لكنه لم يذكر تاريخ إمارة عبد الله، والراجح أنّ ولايته كانت في أواخر حكم مصعب.

---

(٦٥) ن. م: ٨ / ٧٥٣ – ٧٥٤.

(٦٦) انساب الأشراف: ٥ / ٣٤٥، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٧.

(٦٧) تقع بين دجلة والفرات، سكنها الاسكندر المقدوني، ثم أصبحت مقراً لملوك الأكاسرة، لمزيد من التفاصيل ينظر ياقوت: معجم البلدان: ٥ / ٧٤.

(٦٨) التاريخ: ٨ / ٧٥٥ – ٧٥٦، ينظر أيضا: ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٣.

(٦٩) ن. م: ٨ / ٧٥٦، ينظر أيضا: ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٣.

(٧٠) الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٧٥، ينظر أيضا ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ٢٢٦، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٩٣.

(٧١) الطبري: التأريخ: ٨ / ٧٧٥، ينظر أيضا ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ٢٢٦، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٩٣.

(٧٢) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ١٩٢.

٦- إدارة عين التمر:

ذكر البلاذري ان بسطام بن مصقلة بن هبيره الشيباني كان أميراً على عين التمر سنة ٦٨هـ / ٧٨٧م، وقاتل بسطام عبيد الله بن الحر(٧٣).

٧- إدارة الري:

ذكر الطبريّ في أحداث سنة ٦٨هـ / ٦٦٧م أنّ الخوارج توجهوا إلى الري منهزمين من متابعة الحارث بن عبد الرحمن بن محنف، وكان عليها يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني فقاتلهم ووقف أهل الري معهم فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب(٧٤)، فقرر مصعب الانتقام منهم عندما أمر أمير أصبهان عتاب بن ورقاء الرياحي بقتال أهل الري، فقاتلهم وفتح مدينة الري عنوة، وغنم ما فيها، وافتتح سائر قلاعها ونواحيها(٧٥).

٨-إدارة أستان العال

ذكر أبو مخنف ان مصعب بن الزبير بعث أبا بكر بن محنف على استان العال سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م، ثم أقصاه الحارث بن أبي ربيعة عن عمله في أثناء ولايته الكوفة، ثم أقره في السنة الثانية على عمله. وقد قُتِلَ أبو بكر عندما هاجم الخوارج المدائن مع يسار مولاه(٧٦).

---

(٧٣) ن.م: ٥ / ٢٩٥، ينظر أيضا الطبري: التأريخ: ٨ / ٧٧٣، ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٧٤) المبرد: الكامل: ٣ / ٣٤١ ـ ٣٤٢/ ينظر أيضا: الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٦١، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٧٥) ن.م: ٨ / ٧٥٥ ـ ٧٥٦، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٧.

(٧٦) ن.م: ٨ / ٧٥٧، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٧.

٩- إدارة إقليم أصبهان:

ذكر ابن قتيبة ان عتاب بن ورقاء الرياحي تولى إقليم أصبهان في امارة مصعب بن الزبير[٧٧] وقد قاتل الخوارج دفاعاً عن المدينة، وتمكن منهم وقتل ابن الماحوز زعيمهم[٧٨] وشارك عتاب بن ورقاء مع مصعب في قتال عبد الملك بن مروان فانهزم بالناس، ثمّ مال إلى عبد الملك[٧٩].

١٠- إدارة خراسان

ذكر اليعقوبي أن سلم بن زياد استخلف على خراسان عبد الله بن خازم في أيام يزيد بن معاوية، ثمّ دخل في طاعة ابن الزبير[٨٠] فأقرّه عليها[٨١] وبقي أميراً عليها طوال إمارة مصعب بن الزبير على العراق حتى مقتله[٨٢] فكتب عبد الملك ابن مروان بولايته على خراسان على أن يكون في طاعته، وأرسل له كتاباً مع سور بن بحر الدارمي، فلم يقبل عبد الله ذلك وردّ الرسول، وأرسل له جواباً عن رسالته: "أما بعد فاني لم اكن لألقى الله ببيعتين، بيعة رضوان مع ابن حواري رسول الله انتزعها، وبيعة نكث مع ابن طريدي رسول الله البسها"[٨٣]

---

(٧٧) المعارف: ٤١٥، ينظر أيضا: أنساب الأشراف: ٥ / ١٩٢، المبرد: الكامل: ٣ / ٣٣٩، الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٦٢ – ٧٦٣، ابن الأثير: الكامل: ٢٨٥.

(٧٨) الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٦٤، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٥.

(٧٩) الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٦، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٥.

(٨٠) التاريخ: ٢ / ٢٧١.

(٨١) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ١٨٨، ٣٤٥، الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٧.

(٨٢) ن.م: ٥ / ١٨٨، ٣٤٥، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٧.

(٨٣) اليعقوبي: ٢ / ٢٧١، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٣١ – ٨٣٣ مع اختلاف في النص.

فكره عبد الملك موقفه وأرسل إليه بكير بن وشاح الصريحي ووعده أن تمكن من قتله أو إخراجه من خراسان فهو الأمير[٨٤]. وقتل عبد الله بن خازم سنة ٧٢هـ[٨٥].

١١- إدارة سورا[٨٦]:

ذكر ابن اعثم الكوفي أن عبيد الله بن الحر تقدم إلى مدينة سورا، وكان أميرها عبد الرحمن العجلي الذي أقره مصعب بن الزبير وكان متهيا لقتاله، واشتبك الطرفان، فانهزم أهل سورا، واحتوى ابن الحر أسلابهم وأموالهم ودوابهم[٨٧].

١٢- إدارة فسا ودار ابجرد:

وكان واليا عليها كما ذكر الوزير العراقي عبد الله، وهو أخو عبد الرحمن بن أذينة بن سلمة[٨٨] ولم يقدم تفاصيل عنه.

---

(٨٤) خليفة: التاريخ: ١ / ٢٩٦، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٣١ ـ ٨٣٣.

(٨٥) اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٧١، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٣٣.

(٨٦) سورا: موضع في العراق من ارض بابل، وهي مدينة السريانيين، وقريبة من الحلة للمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت: معجم البلدان: ٣ / ٢٧٨.

(٨٧) الفتوح: ٦ / ٢٢٧.

(٨٨) الإيناس بعلم الأنساب: ٨٦، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٢.

١٣- إدارة الزوابي[٨٩]

ذكر البلاذري أن حمير بن جعيل الجمحي كان والياً على الزوابي في أثناء إمارة مصعب بن الزبير على العراق[٩٠] ولم يقدم المؤرخون معلومات عن إدارته.

١٤- إدارة جوخي[٩١]:

ذكر البلاذري أن محمد بن أبي سبرة كان على جوخى عاملا لابن الزبير[٩٢] ولم يقدم المؤرخون تفاصيل اكثر عن عمله.

ولاشك في ان هنالك الكثير من المدن والنواحي والقرى لم تقدم المصادر التأريخيّة معلومات عن ولاتها أو كيفية إدارتها. والراجح إن عدم تعرض هذه الأماكن إلى هجمات الخوارج، أو وقوع أعمال عسكرية فيها، أو عدم وقوعها تحت سيطرة الخارجين عن السلطة، هو السبب الذي أبعدها عن أقلام المؤرخين وأعينهم.

كُتّاب مصعب بن الزبير:

يعد الكاتب من أكثر موظفي الإدارة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبقي موقعه متميزاً في الدولة العربية الإسلامية. وقد تطور الكتاب في عهد بني أمية، وتخصص كلّ كاتب في عمل معين، فأصبح هناك كاتب للرسائل وكاتب

---

(٨٩) الزوابي: نسبة إلى نهر الزاب: ياقوت: معجم البلدان: ٣ / ١٥٥.

(٩٠) انساب الأشراف: ٥ / ١٩٢.

(٩١) جوخي: كورة واسعة في سواد بغداد الجانب الشرقي منه. وللمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢ / ١٧٩.

(٩٢) أنساب الأشراف: ٥ / ١٩٣.

للخراج، وكاتب للجند، وكاتب للشرطة، وكاتب القاضي، وكان كاتب الرسائل أهم هؤلاء الكتاب في الرتبة[٩٣].

لم يذكر المؤرخون العرب تفاصيل وافية عن كتاب مصعب بن الزبير، والراجح أن سرعة الأحداث، وعدم استقرار الأمن والوضع السياسي؛ كان سبباً في ذلك، ومع ذلك فقد وردت معلومات عرضية عن أسماء بعض كتاب مصعب فيقول البلاذري: إنه لما ولي مصعب بن الزبير العراق استكتب عبد الله بن أبي فروة على عمله[٩٤] وزاد الجهشياري انه كان على الرسائل[٩٥] وكان عبد الله هذا (سريا) يفعل أفعالا شريفة، ويعم بمعروفه من انقطع عليه من الناس وغيرهم[٩٦]. كما أورد اليعقوبي اسم المضاء بن علوان من بين كتاب مصعب إلا أنه لم يشر إلى اسم الديوان الذي عمل فيه[٩٧].

ويبدو أن مصعب بن الزبير كان يحترم ويقدر الكاتب عبدالله بن أبي فروة كثيراً، وقد أهدى له عقداً من الجوهر جاء به عامل خراسان، وهو لأحد ملوك الفرس تبلغ قيمته أكثر من مليوني دينار، لأنه (قدم لآل الزبير يدا، وأولاهم جميلا) فقبل منه ذلك العقد[٩٨]. وقد رجع عبد الله بن أبي فروة إلى مكة بعد قتل مصعب بن الزبير[٩٩].

---

(٩٣) حسن: تاريخ الإسلام: ١ / ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٩٤) أنساب الأشراف: ٣ / ٣١٢، ٥ / ٢٨٠، ينظر أيضا: الجهشياري: الوزراء والكتاب: ٤٤.

(٩٥) الوزراء والكتاب: ٤٤.

(٩٦) أنساب الأشراف: ٣ / ٢١٣.

(٩٧) التاريخ: ٢ / ٢٦٦.

(٩٨) انساب الأشراف: ٥ / ٢٨٠، ينظر أيضا الجهشياري: الوزراء والكتاب: ٤٤ ـ ٤٥.

(٩٩) ن. م: ٥ / ٢٨٠.

القضاء:

وجدت نواة القضاء عند العرب قبل للإسلام، فلما جاء الإسلام تولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) الفصل في الخصومات، وقد توسعت هذه الوظيفة بعد حركة التحرير، وتوسع حدود الدولة، واضطر الخلفاء إلى إدخال نظام تشريعي؛ لفض المشكلات التي قد تنشأ بين الأفراد من العرب وغيرهم، فاقتضى تعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في فض المشكلات بين الناس، طبقا لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والقياس[١٠٠]. أما بالنسبة إلى العراق فلا شك في أنه كان يفصل بين الناس قاضيان أحدهما بالبصرة والآخر في الكوفة. وكان على قضاة كل مصر من هذه الأمصار في عهد مصعب قضاة على النحو الموضح فيما يأتي.

أ- قضاة البصرة:

أورد الطبري أن عبد الله بن الزبير عيّن على قضاة البصرة منذ عام ٦٦هـ / ٦٨٥ هشام بن هبيرة ويبدو انه استمر في عمله حتى عام ٦٧هـ / ٦٨٦م[١٠١] وهو تاريخ وصول مصعب إلى البصرة أميراً. فعين معاوية إبن مرة عوضاً عنه[١٠٢]. واستمر معاوية في النظر في القضاء حتى تعيين عبدالله إبن الزبير ابنه حمزة على البصرة سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م فأعاد هشام بن هبيرة إلى منصب القضاء، واستمر في عمله حتى بعد عزل أميرها حمزة وإعادة مصعب

(١٠٠) حسن: تاريخ الإسلام: ١ / ٤٨٥.

(١٠١) الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٠٠، ينظر أيضا ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٨٠.

(١٠٢) ن.م: ٨ / ٧٢٣.

على إدارتها، والى عام ٧٢هـ / ٦٩١ (١٠٣).

ب. قضاء الكوفة:

بعد تحرير مصعب بن الزبير للكوفة سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م عين على قضائها سعيد بن نمران الهمداني، وكان كاتباً لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لمدة ثلاث سنوات(١٠٤) ثم عزله لأسباب لا يذكرها المؤرخون، وسرعان ما أعاد مصعب على القضاء سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م عبد الله بن عتبة بن مسعود، ويبدو أنه بقي في منصبه حتى مقتل مصعب بن الزبير في سنة ٧٢هـ / ٦٩١م فأعاد الأمويون شريح على قضاء الكوفة(١٠٥).

الشرطة:

الشرطة هم الجند الذين يعتمد عليهم في استتباب الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور واطمئنانهم. وقد سموا بذلك؛ لأنهم اشرطوا أنفسهم بعلامات خاصة يعرفون بها(١٠٦) وكان يطلق على رئيسها صاحب الشرطة، وكان يختار من علية

(١٠٣) وكيع: أخبار القضاة: ٢ / ٣٠٢ ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٨٣، ٧٩٦.

(١٠٤) الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٣٧.

(١٠٥) خليفة: التاريخ: ١ / ٢٦٦، ينظر أيضا ابن قتيبة: المعارف: ٤٣٣ وكيع: أخبار القضاة: ٢ / ٣٩٧، الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٥٢، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٧٩.

(١٠٦) حسن: تاريخ الإسلام: ١ / ٤٦.

القوم، ومن أهل العصبية والقوة[١٠٧]. وكانت إدارة الشرطة في إمارة مصعب على العراق على النحو الآتي:

أ- شرطة البصرة:

قال المدائني إن مصعب بن الزبير عند دخوله إلى البصرة ولى شرطته مطرف بن سيدان الباهلي، ثم عزله وولى مكانه بشر بن غالب الأسدي[١٠٨] ويبدو أن سبب عزل مطرف بن سيدان كانت الحاجة إلى خدماته بوضعه واليا على مدينة الأحواز[١٠٩] وكان مطرف هذا في أثناء ولايته على شرطة البصرة قد ألقى القبض على النابئ بن زياد بن ظبيان، ورجل من بني نمير وقد (قطعا الطريق، فقتل النابئ بأمر من مصعب، وضرب النميري بالسياط وتركه)[١١٠] فلما عزل مصعب مطرف عن الشرطة جمع عبيد الله بن زياد بن ظبيان[١١١] جمعا أراد به الثأر من طريف لمقتل أخيه، فالتقيا فقتل عبيد الله مطرف، والتحق بعبد الملك بن مروان[١١٢]. وفي ولاية عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي على بصرة ولى على شرطته عباد بن الحصين[١١٣]. وقاتل مع مصعب في

---

(١٠٧) ن.م: ١ / ٤٦٠.

(١٠٨) انساب الأشراف: ٥ / ٢٧٧، ٢٧٩، فتوح البلدان: ٤٧١، ينظر أيضا: الطبري: التأريخ: ٨ / ٨٠٩.

(١٠٩) ابن قتيبة: المعارف: ٤١٤.

(١١٠) البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٨٤، فتوح البلدان ٤٧١، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٦٨١، ٨٠٩. ابن حزم: جمهرة انساب العرب: ٢ / ٣١٥، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٣٢٩.

(١١١) ينظر ترجمته في: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ٢ / ٣١٥.

(١١٢) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٨٤، فتوح البلدان: ٤٧١ الطبري: التاريخ: ٨ / ٦٨١، ٨٠٩، ابن حزم: جمهرة انساب العرب: ٢ / ٣١٥، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٣٢٩.

(١١٣) ينظر ترجمته في ابن حزم: الجمهرة ٢ / ٢٠٧.

يوم المذار على مقدمته[١١٤] ثم توجه إلى الكوفة وشارك في قتال المختار وأصحابه داخل الكوفة[١١٥] وكان عباد فارس بني تميم، وشهد فتح كابل مع عبدالله بن عامر، وكانت شجاعته تعدل ألف فارس[١١٦] وقد بقي عباد بن الحصين على شرطة البصرة حتى معركة الجفرة سنة ٧١هـ / ٦٩٠م حين وصول خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد البصرة[١١٧] أورد البلاذري اسم خداش بن يزيد الأسدي على شرطة ابن الزبير الذي أرسله لإلقاء القبض على خالد بن عبد الله بن خالد وأصحابه الذين فروا من معركة الجفرة[١١٨].

ب- شرطة الكوفة:

لما حرر مصعب بن الزبير الكوفة من قبضة المختار بن أبي عبيد الثقفي عيّن الحارث بن عبد الله المخزومي والمعروف بالقباع أميراً عليها فعين شبث بن ربعي الرياحي[١١٩] على شرطة الكوفة، ثم عزله، وقال عنه: هذا أعرابي، وولى شرطته سويد بن عبد الرحمن المنقري[١٢٠] الذي سبق أن عينه عبد الله بن مطيع على الكوفة قبل خروجه منها[١٢١] وكانت شرطة الكوفة

(١١٤) انساب الأشراف: ٥ / ٢٥٣، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٢٠.

(١١٥) ن.م: ٥ / ٢٦٤

(١١٦) ابن قتيبة: المعارف: ٤١٤.

(١١٧) الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٩٨.

(١١٨) أنساب الأشراف: ٤ / ١٦٣، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٣، العلي: التنظيمات: ١٢٦.

(١١٩) البلاذري: انساب الأشراف: ٥ / ٢٢٩.

(١٢٠) انساب الأشراف: ٥ / ٢٧٠.

(١٢١) ن. م: ٥ / ٢٢٦.

هي المسؤولة عن قتل عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاريّ؛ لأنها قالت أن زوجها المختار عبد من عباد الله الصالحين[١٢٢] ويبدو أنّ سويد بقي على شرطة الكوفة حتىّ مقتل مصعب بن الزبير.

الخراج:

وهو مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة إذا عدل الخليفة عن توزيعها على المقاتلين، ويعوض المقاتلين عن نصيبهم فيها أو يسترضيهم كما فعل عمر بن الخطاب. وقد بلغ خراج العراق في خلافة عمر بن الخطاب (١٢٠) مليون درهم[١٢٣]. وفي ولاية عبيدالله بن زياد (١٣٥) مليون درهم[١٢٤] أما بالنسبة إلى مقدار الخراج الذي جباه مصعب بن الزبير فلا تقدم المصادر التأريخية معلومات عنه. والراجح أن مصعب ابن الزبير لم يستطيع أن يحقق المبلغ نفسه الذي حققه عبيد الله بن زياد؛ وذلك بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية فيه فضلاً عمّا كان يجبيه الخارجون عن سيادة الدولة كالخوارج الذين جبوا خراج الأماكن التي سيطروا عليها عدة مرات، كما جبى عبيد الله بن الحر الخراج مرات عديدة من الأماكن التي سيطر عليها[١٢٥]. ويذكر الواقدي أن مقدار ما جباه مصعب بن الزبير في

(١٢٢) اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٦٤، ينظر أيضا الطبري: تاريخ: ٨ / ٧٤٣/ ٧٤٤، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٢٧٥.

(١٢٣) اليعقوبي: التاريخ: ٢ / ٢٢١، ينظر أيضا الماوردي: الأحكام السلطانية: ١٧٥.

(١٢٤) الماوردي: الأحكام السلطانية: ١٧٥.

(١٢٥) البلاذري: انساب الأشراف: ٥ / ٢٧١، ينظر أيضا ابن اعثم: الفتوح: ٦ / ٢٠٤، ٢٠٩، الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٦٤، ٧٦٦، ٧٧٤.

العراق كان (٨٠) مليون درهم[١٢٦] واعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه كثيراً، أما في البصرة فان خراجها بلغ في عهد زياد بن أبي سفيان (٦٠) ألف ألف درهم، وبلغ خراج الكوفة (٥٠) ألف ألف درهم[١٢٧]. وقد أرسل مصعب عند ولايته البصرة من يجبي خراج شواطئ دجلة والأحواز[١٢٨]، ولا يوجد ذكر لجباية بقية الكور والمدن والنواحي، وكثيراً ما كان الخوارج يجبون خراج بعض الكور والمدن والنواحي التي يسيطرون عليها[١٢٩]. مما يؤثر في مقدار مبالغ الجباية التي تدخل في بيت المال، ولا شكّ في أنّ تذبذب موارد الدولة من الخراج يؤدي إلى عدم استقرار الوضع، لأنّ الدولة تكون عاجزة أحياناً عن دفع مستحقاتها، خاصة أن مبالغ الخراج تصرف بشكل رئيس على المقاتلة؛ لتوفير مستوى معاشي لائق لهم، هذا ما جعل مصعب بن الزبير يدفع عطاءين للناس، أحدهما في الصيف والآخر في الشتاء[١٣٠]. والراجح أنه كان يدفعه على قسطين، ممّا يدل على عدم توافر السيولة النقدية في بيت المال حتى يتمكن من دفع الخراج قسطاً واحداً.

لم يتطرق المؤرخون العرب إلى عمال الجباية في الكور والمدن أو تقديم صورة عن معاناتهم عند جمع الخراج وقد ورد ذكر أسماء عدد من عمال الخراج في قصيدة لعبد الله بن همام السلولي التي وجهها إلى عبد الله بن الزبير يشكو فيها

---

(١٢٦) المقدسي: البدء والتاريخ: ٤ / ٧٥ ينظر أيضاً: ياقوت: معجم البلدان: ٣ / ١٧٥.

(١٢٧) العلي: الخراج: ٣١٢.

(١٢٨) الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٣٣.

(١٢٩) البلاذري: أنساب الأشراف: ٥ / ٢٧١، ينظر أيضا الطبري: ٨ / ٧٦٤، ٧٦٦، ٧٧٤.

(١٣٠) البلاذري: أنساب: ٥ / ٢٧١، ٢٨٠، ينظر أيضا: الطبري: التاريخ: ٨ / ٧٥٥، العلي: تنظيمات: ١٥٦، ١٥٩.

ظلم وجور عمال الخراج وتلاعبهم به، والقيام بالكسب غير المشروع من عملهم، ومن هؤلاء العمال حجير بن حجار وحجير بن جعيل الجمحي وكان على الزوابي أو الراذنان، ونعيم بن دجاجة وكان على أسفل الفرات، وزحر بن قيس ويقال محمد بن أبي سبرة وكان على جوخى، وقيس بن يزيد، وعمر بن مالك الوالبي، ومحمد بن عمير بن عطارد، ويزيد بن رويم، ومسعود الأسدي ولا يذكر البلاذري مكان ولايتهم[١٣١] كما أورد الجشهياري ان صاحب خراج مصعب يسمى بالكاتب واسمه سارزاد صاحب باذين[١٣٢]، ولم تتوافر معلومات عن صاحب الخراج هذا، هل استمر بعمله طوال حكم مصعب للعراق أمْ تم تبديله بآخر؟. كما أورد الطبري اسم طيز جشنس دهقان نرسي[١٣٣] والذي بدون شك انه كان مسؤولاً عن جمع الخراج في مدينته.

الإصلاح النقدي:

اهتم مصعب بن الزبير بعملية سك النقد؛ للحفاظ على قيمته من خلال وزنه ونقائه. ويبدو أنه سادت عملية غش النقد؛ نتيجة للظروف السائدة في البصرة. فقد شكا أهلها أميرهم الحارث بن عبد الله المعروف بالقباع من التلاعب بقيمة النقد ووزنه ونقائه، فقالوا له: إنّ الناس يقطعون الدراهم ثم يجعلونها أصفاراً ومعنى ذلك: أنها قليلة الوزن وصغيرة الحجم. ونظراً لأهمية النقد في التعامل مع الناس، وللحفاظ على الوضع الاقتصادي، وضمان حقوق الآخرين فقد اهتم القباع بالأمر، وأمر الناس أن يأتوه بسبعة مثاقيل من الدراهم فقال هذه العشرة فزنوا بها

(١٣١) ن. م: ٥ / ١٩١ – ١٩٣، ينظر أيضا الطبري: التاريخ: ٨ / ٤٥٧.

(١٣٢) الوزراء والكتاب: ٤٤.

(١٣٣) التاريخ: ٨ / ٧٧٣.

كيف شئتم[١٣٤]. ويعد القباع أول من ضرب النقد بالبصرة[١٣٥]. ولا تخفى أهمية النقد وصحة سكه في انعكاسه على الدولة خاصة عند دفع مستحقاتها من الخراج أو الجزية أو الضرائب الأخرى، ولهذا نجد ان مصعب بن الزبير قرر اعتماد سكة جديدة قام بضربها في البصرة[١٣٦] وكانت على ضرب الأكاسرة، وذلك في سنة ٧٠هـ / ٦٨٩م[١٣٧]. ويذكر البلاذري أنه ضرب إلى جانب الدراهم دنانير أيضا[١٣٨].

لا توجد إشارات إلى وزن الدرهم الذي ضربه مصعب بن الزبير، ولا شكّ في أنّ وزنه يعادل وزن الدراهم السائد المعمول به قبل توليته العراق، أي: كلّ عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل[١٣٩]. إلا أن هذه النقود كسرت وأبطل التعامل بها بعد مقتل مصعب بن الزبير[١٤٠].

مقتل مصعب بن الزبير:

لم تستمر إدارة مصعب على العراق كثيراً، وذلك لاستمرار ضغط الأمويين من جهة واستنزاف الخوارج لقوته العسكرية من جهة أخرى فضلاً عن مواقف أهل الكوفة بعد قتل المختار. وتمكن عبد الملك بن مروان من قيادة جيش يربو

(١٣٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢ / ١٩، البلاذري: فتوح البلدان: ٥٧٤.

(١٣٥) البلاذري: فتوح البلدان:٥٧٢.

(١٣٦) م. ن فتوح البلدان: ٥٧٢، ينظر أيضا العلي: الخراج: ١٥١.

(١٣٧) البلاذري :فتوح الدول:٥٧٥.

(١٣٨) ن. م: ٥٧٥.

(١٣٩) ن. م: ٥٧٢، ينظر أيضا: العلي: الخراج: ١٥١، ١٥٣.

(١٤٠) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢ / ١٩، ينظر أيضا: البلاذري: فتوح البلدان: ٥٧٤، العلي: الخراج: ١٥١، ١٥٣.

عدده على خمسين ألف مقاتل[١٤١] كان معه أخوه محمد بن مروان، وعبدالله بن يزيد بن معاوية في حين كان مصعب يقاتل بعدد محدود بعد غياب كبار قادته مثل المهلب بن أبي صفرة الذي كان في الموصل، وعباد بن الحصين الحبطي الذي خلفه على البصرة، وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي الذي بقي في فارس وعبد الله بن خازم في خراسان[١٤٢]. ويبدو أنّ المراسلات التي قام بها عبد الملك مع رؤساء الجند وكبار قادته وأشراف أهل الكوفة كانت ناجحة؛ ولهذا لاحظ مصعب انخزال أهل العراق عنه في المعركة، ولا سيما ربيعة[١٤٣]، فكانت معركة غير متكافئة إذ لم يبقَ معه غير عدد محدود من المقاتلين فقتل ابنه عيسى أولاً[١٤٤] ثم لحقه مصعب بن الزبير بعد أن أبلى بلاءً شديداً في المعركة، فقتل يوم الخميس للنصف من جمادى الأول سنة ٧٢ هـ / ٦٩١م[١٤٥] في منطقة دير الجاثليق، وهي على مسافة فرسخين

---

(١٤١) البلاذري: أنساب: ٥ / ٣٤٤.

(١٤٢) ن. م: ٥ / ٣٣٤، ينظر أيضاً: الطبري: التاريخ: ٨ / ٨٠٧، ابن الأثير: الكامل: ٤ / ٣٣٢

(١٤٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢٩/٢، ينظر أيضا البلاذري: انساب: ٣٣٧/٥، اليعقوبي: التاريخ:٢/ ٢٦٥، الطبري: التاريخ: ٨/ ٨٠٤، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٤١٠/٤، المسعودي: مروج: ١٠٦/٣.

(١٤٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٢٩/٢، ينظر أيضا اليعقوبي: التاريخ: ١٢٤/١، الطبري: التاريخ: ٨٠٩/٨/ ابن الكلبي: جمهرة النسب: ٣١٣، ابن الأثير: الكامل: ٣٢٧/٤، الحنبلي: شذرات: ٧٩/١ مع اختلاف.

(١٤٥) ابن سعد: الطبقات: ١٣٦/٥ ينظر أيضا خليفة: التاريخ: ٢٦٤/١، البلاذري: انساب: ٣٥٠/٥، اليعقوبي: التاريخ: ٢٦٥/٢، الطبري: التاريخ: ٨٠٩/٨، ٨١٣، المسعودي: التنبيه: ٢٧١، مروج: ١٠٨/٣، ابن الأثير: الكامل: ٣٢٨/٤، الحنبلي: شذرات: ١/ ٧٩ مع اختلاف.

من الأنبار وكان عمره أربعون سنة[١٤٦] ودفن بمسكن على نهر دجيل قرب قرية أوانا[١٤٧]. وكان قبره يزار من قبل العراقيين في أيام من السنة في القرن الرابع والخامس الهجريين[١٤٨] وبذلك أنهى عبد الملك بن مروان سيطرة ابن الزبير على العراق؛ مما كان له أثر كبير في إنهاء فتنة عبد الله بن الزبير.

(١٤٦) خليفة: التاريخ: ٢٦٤/١، ينظر أيضا البلاذري: انساب: ٣٤٦/٥ ويقول ان عمره ٣٦ سنة، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ١٩٣.

(١٤٧) ن. م: ٢٦٣/١، ينظر أيضا: البلاذري: انساب: ٣٥٠/٥، ابن الكلبي: جمهرة النسب: ٣٠٣، السمعاني: الأنساب: ٣٧٩/١، ابن الجوزي : المنتظم ٧/ ٢٠٦، ابن الأثير: الكامل: ٨/ ٧٨.

(١٤٨) ابن الجوزي: المنتظم: ٢٠٦/٧، ابن الأثير: الكامل: ٨/ ٧٨.